الإمام المسلوخ!

بهذه التسمية عُرف صاحبها، وبهذا اللقب ذكره التاريخ، وبهذه الصفة رُويت سيرته، كبطل ثائر، وصامد عظيم، ورمز أسطوري في الثبات على المبدأ، والتمسك بالحق، ومواجهة الباطل، والتضحية في سبيل الله.!

وبقدر ما حملت لنا هذه الفدائية النادرة من صورٍ مثلى للبطولة الفذة، بقدر ما كشفت لنا عن حقيقة الشيعة الفجرة المغالين في دين الله، الذين يُظهرون حقدهم وعداءهم لأهل السنة في كل عهد وزمان.. فيرون بغض السنيين آكد وأوجب من بغض اليهود والنصارى، ويعتقدون أنهم أسوأ وأخبث من الشيطان على هذه الأرض، ويجعلون من قتالهم قربة للحسين، الذي كثيرًا ما ظلموه بما اقترفوا باسمه من جرائم وآثام.!

وهاهم الأنجاس.. نرى جورهم وبشاعتهم كلما قامت لهم دولة، وانتصب لهم كيان، وهاهم أخوتنا في سوريا رأيناهم وعرفناهم وهم يستبيحون دماءهم وأعراضهم، ويذبحون منهم الألوف، ويحركون عليهم قوى الشر التي تشن الغارات وترميهم بالمقذوفات، ليخرجوهم من أرضهم هاربين فارين مذعورين من موت محقق وهلاك أكيد.. وعودة بالتاريخ إلى دهر مضى.. لنرى فيما نقرأ صورًا من وحشيتهم وقذارتهم، وحقدهم المتأجج على أهل السنة، بل نرى قلوبًا هاج فيها الغل، ونزعت منها الرحمة، وأعماها الباطل، فلم تجد سبيلاً لتنفس عن نفسها، إلا بهذه الجرائم التي يتندر بها الزمان!

إنها قصة الإمام المسلوخ.. واحدة من هذه القصص النادرة التي جسدت نفسية الشيعة، وصورت في جلاء طبيعتهم الإجرامية.. تلك الطبيعة، وتلك الصورة، التي كنا نراها كل يوم، فيما صدروه لنا من مقاطع الذبح

الأليم لإخوانا المستضعفين الذين يتفننون في التمثيل بهم، فيشاهد العالم كله مأساتهم، ويسمع أنينهم، ويقابل غوثهم بالصمت والتبلد، ليعلن بوضوح أننا في عصر هزمت فيه القيم، وانتحرت فيه الفضيلة، وتبددت فيه كرامة الإنسان.!

استطاع الملعون (عبيد الله المهدي) أن يؤسس دولة تحمل حلم الشيعة الفاطميين، وتحقق باسمها أطماعهم التوسعية، وانتقل من مرحلة التأسيس، إلى التمدد شرقًا وغربًا لنشر دعوة الزيف، وفكرة الباطل، وتصير زورًا ما سمي بالخلافة الفاطمية، ومن بعده سار أبناءه على نهجه وسياسته التوسعية، حتى استطاع المعز لدين الله، دخول مصر يوم الجمعة (٨) رمضان عام (٣٦٢) هـ، بعد أن سبقه إليها قائده (جوهر الصقلي) فمهد له الأمور، وأقام له الدعوة، وبنى له القاهرة فنزلها، وفي الوقت الذي كان هؤلاء الأنجاس يدينون بالمذهب الشيعي، كان أهل مصر وفلسطين وسوريا يعتنقون المذهب السني، وحينما تمكن هؤلاء الفجرة من البلاد والعباد، وأظهر طاغيتهم المعز لدين الله الدعوة لنفسه وأعلن مذهبه الرديء ودعا إليه.. أجبروا علماء المسلمين على لعن أعيان الصحابة على المنابر، وبدلوا الأذان إلى حي على خير في العمل، وفي عهد الحاكم بأمر الله أصدر عام ٣٩٥هـ أمرًا بنقش سب الصحابة على جدران المساجد وفي الأسواق والشوارع والدروب، وصدرت الأوامر إلى العمال في البلاد المصرية بمراعاة ذلك، وأبطل التراويح وصلاة الضحى، وأمر بالقنوت في الظهر بالمساجد.. أما سياستهم مع اليهود والنصارى، فقد بلغت قمة التسامح والمودة، فقد استعان المعز بكثير من الأطباء اليهود، وما لبث أن عظم نفوذهم في بلاطه، وصار يعقوب ابن كلس، الذي أسند إليه المعز بعض دواوينه، يتحيز إلى إخوانه في الدين.. وارتقى يعقوب في المناصب حتى أصبح وزيرًا للعزيز ابن المعز، كما اتسم عهد

العزيز بالتسامح مع النصارى، وغص بلاطه منهم، وبالغ في إكرامهم لِما كان بينه وبينهم صلات النسب.

وحينما أقدموا بزحفهم على الشام واستولوا عليها، فر عدد كبير من الصلحاء لما سمعوا عنهم من شدة بطشهم وقسوة تنكيلهم، وكان ممن هرب منهم من العلماء، الإمام النابلسي، الذي فر من الرملة إلى دمشق.. وهو الإمام أبو بكر النابلسي، محمد بن أحمد بن سهل بن نصر، الشهيد المعروف بابن النابلسي.. الذي نَحُومُ حول صموده في هذه السطور، والذي حاولَت بعض كتبهم الزائفة، أن تنسبه للقرامة الذين حاربهم المعز وأنه من المقربين إليهم ومن أشياعهم، في محاولة خبيثة ماكرة، لتشويه صورته، وتبرئة الطاغية المعز من جريمته البشعة التي اقترفها في حقه، ولكنه ﷺ كان أحد العلماء العظام الثابتين الثائرين في وجه الظلمة والطغاة البغاة، حيث كانت محنتهُ عظيمة، وبلائه غير مسبوق، لقد استطاع بفضل الله عليه، أن يكون آية في الثبات ومثلاً لا يتكرر في الصلابة ونُصرة الحق والتضحية الفذة بالروح والنفس في سبيل الله.! قيل عنه: كان عابدًا صالحًا زاهدًا قوالاً بالحق، وكان إمامًا في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير المنزلة عند الخاصة والعامة، وكان مناضلاً حرًا شريفًا لا يرضى بالضيم، والدنية في دينه، أعطى صورة رائعة للعالم العامل الرباني المجاهد، الذي يقود الأمة في كفاحها، ويتمثل في شخصه نضالها، ليكون صورة نافرة مغايرة من هؤلاء الإمعات، الذين شوهوا مقام العلم وأهله، وارتموا تحت أقدام السلاطين يقبلون أحذيتهم وينحون عنها الغبار بعمائمهم الدنيئة.

كان عالمنا الجسور في قلب المعركة ومقدمة النزال، وكان يدفع الناس لقتال الفاطميين، وكانت له قولته الشهيرة: لو كان في يدي عشرة أسهم، لرميت واحدًا إلى الروم وتسعة إلى هذا الطاغي.! قدر لهذا العالم الأبي، أن

يتعرض لهذه المحنة التي تقشعر لها الأبدان، وتتمعر لهولها الجلود والقرائح، وكانت البداية بعد أن تغلب حاكم دمشق أبو محمود الكتامي على أعداء الفاطميين، ولم يبق له إلا مهمة القبض على الإمام النابلسي، عدوهم الأكبر والمحرض عليهم، والداعي لقتالهم، فوقع في أسره، وحبسه في رمضان، وجعله في قفص من الخشب.

ولما وصل قائد جيوش المعز إلى دمشق، سلّمه إليه حاكمها، فحمله إلى مصر، ومثل بين يدي المعز، ودار الحوار الرهيب الذي يعكس هذه الصورة الخرافية في استهجان الباطل والاستخفاف بالطغاة، حين سأله المعز بقوله: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينًا تسعة! فقال الإمام النابلسي: ما قلت هكذا.! ففرح القائد الفاطمي، وظن أن الإمام سيرجع عن قوله، ثم سأله بعد برهة: فكيف قلت؟ قال الإمام النابلسي بقوة وحزم: قلت: إذا كان معه عشرة، وجب أن يرميكم بتسعة، ويرمي العاشر فيكم أيضًا.! فسأله المعز بدهشة: ولم ذلك؟! فرد الإمام النابلسي بنفس القوة: لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وأطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم.. ونطق الرجل بالحق، وجابه الطغاة الذين لم يملكوا أن ينزلوه على باطلهم، فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى التصفية الجسدية، تلك التي نعرف ونتأكد أنها سبيل الضعفاء، ووسيلة الفشلة المهزومين، الذين يُعييهم الحق ويُفحمهم دويه.

لقد أمر بإشهاره في أول يوم، وفي اليوم الثاني ضربوه ضربًا شديدًا بالسياط، وفي اليوم الثالث كان مالم يخطر ببال أحد، لقد سلمه هذا الطاغية الذي يقطر بالحقد والكره لعلماء المسلمين، إلى جزار يهودي، وأمره أن يسلخه بعد رفض الجزارين المسلمين، فسلخه اليهودي المتوحش من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يتحمل ويصبر ويذكر الله، حتى بلغ العضد،

فرحمه السلاخ وأخذته رقة عليه، فوكز السكين في موضع القلب، فقضى عليه، وحشي جلده تبناً، وصُلب، وقتل النابلسي في سنة ٣٦٣ من الهجرة.

ومما يحكى من مظاهر ثباته: إنه لما أُدخل مصر، قال له بعض الأشراف ممن يعانده: الحمد لله على سلامتك! فقال: الحمد لله على سلامة ديني وسلامة دنياك! ولم يكن يردد وهو يُسلخ إلا قوله تعالى: ﴿ كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾[1]

وقيل من كراماته: أنه لما سُلخ كان يُسمع من جسده قراءة القرآن.! وذكر ابن الشعشاع المصري: أنه رآه في النوم بعدما قُتل، وهو في أحسن هيئة. قال: فقلت: ما فعل الله بك؟ قال:

حباني مالكي بدوام عزٍ** وواعدني بقرب الانتصارِ

وقربني وأدناني إليه ** وقال: انعم بعيشٍ في جواري[2]

---

١ - الإسراء :٥٨

٢ - تاريخ دمشق لابن عساكر